

# الإنسان والوجود في الشعر الجاهلي

د. عبدالغني زيتوني



إن الإقرار بوجود الله لدى معظم العرب ، والاعتقاد في قدرته الفارقة على الخير والشر ، والتسليم بسيطرته على الكائنات ، وتحكمه بالخلق ، يدل دلالة واضحة على ما وقع في أذهان غالبيتهم من أن الله قادر على خلق الكون والبشر ، وقد ظهرت إشارات إلى ذلك في مواطن كثيرة من الشعر الجاهلي ، إذ إن الشعراء كانوا إذا عرض لهم ذكر لخلق الكون والكائنات نسبوه مباشرة إلى الله ، مؤكدين أنه الخالق الوحيد ، وأن الخلق في مقدمة قدرته التي لا حدود لها .<sup>(١)</sup>

ولاشك في أن قسماً من هؤلاء الشعراء كان يعتقد ديانة سماوية كالحنيفية واليهودية والنصرانية، وكان قسم آخر منهم متأثراً بتلك الديانات، وما شاع عنها من أحاديث الخلق، وأكثر هذا القسم من المشركين الذين كانوا يعبدون الأوثان، والذين كانوا يؤلفون أغلب عرب الحجاز. وما هو جدير بالملاحظة والاهتمام أن المشركين أنفسهم، على الرغم من اعتقادهم المتين في مقدرة الأوثان، لم يرد عن أحد منهم أنه عزا الخلق إلى صنم معين أو إلى الأصنام مجتمعة بل إنهم كانوا يقرّون بأن الله هو الذي أنشأ الكون، وخلق الناس.

ويمكننا، للبحث في الشعر عن موقف الإنسان العربي من قضية الخلق، أن نتعرض من خلاله لخلق الكون عامة، ثم ننقل إلى الأشعار التي ذكرت خلق الإنسان بجسمه وروحه، لعلنا بذلك نكون صورة واضحة لرؤية متكاملة في هذا المجال.

### ■ أولاً، خلق الكون :

لقد شغلت قضية الخلق كثيراً من أفراد الأمم القديمة ومفكرها، ولم يكن الإنسان العربي بمنأى عن تلك القضية، فلا ريب أنه اهتم بنشأة الكون ومنشئه، وتساءل عن الوجود وصانعه، غير أن الديانات السماوية حوله، في أغلب ظننا، قد أبعدته عن الوقوع في الحيرة، وساعدته على عدم الضياع في متاهات الأفكار للبحث عن الموجد الأول أو العلة الأولى، وذلك حين أكدت له وجود إله كبير، نسبت إليه خلق العالم، بسمانه وأرضه وكنائنه.

وهذا ما جعلنا نجد في الشعر الذي عرض للخلق أن الفرد في العصر الجاهلي قد اطمأن، في أكثر الأحيان، إلى خلق الله للكون اطمئناناً تاماً، من غير إنكار أو مجاملة في قدرته على ذلك. وقد عبر الشعراء عن هذا الاعتقاد والتسليم به، حتى إننا لانكاد نرى أحداً منهم يناقضه، أو يخرج عنه.

ولعل عدي بن زيد العبادي من أبرز أولئك الشعراء الجاهليين الذين ذكروا خلق الله للكون تفصيلاً، ولا شك في أن لاطلاعه على تعاليم ديانته النصرانية أثراً كبيراً في إلامه ببدء الخلق، وإنشاء الخليقة<sup>(٢)</sup>. فمن ذلك ما ذهب إليه في شعره من أنه لم يكن يوجد في البداية إلا رياح وماء وظلمة، فكشف الله الظلام، وحسر الماء، وبسط الأرض، وجعلها في مقدار السماء، وكون الشمس، وأقامها حداً، ليميز به الليل من النهار، وأتم خلق ذلك كله في ستة أيام، ثم بعد ذلك التفت إلى خلق البشر<sup>(٣)</sup>:

اسْمَعْ حديثاً كما يوماً تُحدثُهُ	عن ظهر غيب إذا ما سائلُ سالا
أن كيف أبدى إله الخلق نعمته	فـيـنا وعرفنا آياته الأولـا
كانت رياحاً وماءً ذا عرائية	وظلمة لم يدع فتناً ولا خللاً <sup>(٤)</sup>
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت	وعزل الماء عما كان قد شغلاً
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها	تحت السماء سواء مثل ما فعلاً
وجعل الشمس مصراً لاخفاء به	بين النهار وبين الليل قد فصلاً <sup>(٥)</sup>
قضى لستة أيام خليقته	وكان آخرها أن صور الرجلـا

وما ذكره عدي من خلق الكون شبيه بما ورد في «العهد القديم» حول بدء الخليقة؛ إذ جاء فيه: «في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله: ليكن نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً، والظلمة دعاها ليلاً..»<sup>(٦)</sup>. وجاء فيه أيضاً: «فأكملت السموات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل»<sup>(٧)</sup>.

ولعل في هذا التشابه ما يرجح لدينا أن عدبا، عند نظمه للأبيات السابقة، قد اعتمد اعتماداً كبيراً على ثقافته الدينية، وما تناقلته من وصف لبداية الخلق.

وكان أمية بن أبي الصلت أيضاً من الشعراء الذين عُنوا في أشعارهم ببده الخليفة، بل إن القدماء قد أحلّوه مكانة مميزة في هذا المجال، حين أشاروا إلى أنه اهتم بذكر خلق السماوات والأرض في شعره اهتماماً لم يسبقه إليه أحد من الشعراء في عصره، ويرون أن ذلك يعود إلى اطلاعه الواسع على الديانات حوله<sup>(٨)</sup>. وقد أشرنا من قبل إلى أنه كان من أبرز حنفاء الجاهلية الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد، ولاشك في أنه آمن إيماناً تاماً بأن الله هو الذي فطر الكون، ورفع السماء، وبسط الأرض.

وتجد تلك الرؤية جلية في شعره؛ إذ يرى أن من أعظم الدلائل على قدرة الله خلقه لليل والنهار، وتقديره الدقيق لوقتهما، وجعله الشمس ضياء تنير أرجاء الأرض<sup>(٩)</sup>:

إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ	مَا يَمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌ	مُسْتَتِينٌ حِمَاةٌ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٍ	بِمَهَاةٍ شِعَاعُهَا مَنشُورُ <sup>(١٠)</sup>

ويرى أمية أيضاً أن الله، حين خلق الأرض، جعلها مصباً لماء السماء الذي به حياتها وحياة من يعيش عليها، مشيراً إلى أن الأرض بمنزلة الأم للبشر، لأنها تمدهم بأسباب العيش والبقاء، وعند الممات تحتضنهم في جوفها، وعلى هذا فهم مقيدون بها من ولادتهم إلى موتهم. وكذلك خلق الله السماء أطيافاً عدة، فأبدع في خلقها أتم الإبداع، إذ جعلها ملساء الأديم، لا يقدر على اعتلاء متنها أي كائن، مهما كان صغيراً وضئيلاً<sup>(١١)</sup>:

والأرض نُوخَهَا إِلَهَ طَرَوْقَ      للماء حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ<sup>(١٣)</sup>  
والأرض مَعْقَلُنَا وَكَانَتْ أَمْنَا      فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلُذُ  
فِيهَا تَلَامِيذٌ عَلَي قَذَفَاتِهَا      حَبَسُوا قِيَامًا فَالْفِرَانِصُ تَرَعَذُ<sup>(١٤)</sup>  
يَبْغِبُنِي إِلَهَ عَلَيْهِمْ مَحْصُوفَةٌ      خَلْقَاءُ لَا تَبْلَى وَلَا تَأْوَدُ<sup>(١٥)</sup>  
فَلَوْ أَنَّهُ تَحَدَّ وَالْبَرَامُ بِمَثْنَاهَا      زَلَّ الْبَرَامُ عَنِ التِّي لَا تَقْرَدُ<sup>(١٦)</sup>

وواضح أن معاني الشاعر وصوره منتزعة من البيئة البدوية التي تحيط به، فالأرض كمنافاة أو سائمة قد تهيأت لفحطها، والأرض أم للناس، ويبدو أنه قد استمد هذا المعنى مما هو شائع بين العرب، كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة حين قال: «وكانت العرب تسمى الأرض أمًا، لأنها مبتدأ الخلق، إليها مرجعهم، ومنها أقواتهم وفيها كفايتهم»<sup>(١٧)</sup>. وفضلاً عن ذلك ما صورته أمية من ملأسة السماء، وعدم قدرة الأفراد على اعتلاء متنها، على الرغم من أنها تستطيع اعتلاء متون الإبل والثبات عليها، مهما أسرعت أو ثققلت في سيرها. وهذا ما يجعل أمية في شعره، على الرغم من تأثره بأهل الكتاب، أقرب إلى التعبير عن حياة البادية من عدي بن زيد، في شعره السابق الذي غلبت عليه معاني «سفر التكوين» وصوره.

وثمة شعراء آخرون، ممن اعتنقوا إحدى الديانات السماوية، وذكرت لهم أشعار، تتضمن إشارات إلى خلق الله للسماء والأرض. فمن ذلك ما نسب إلى ورقة بن نوفل من شعر، يخاطب فيه قريشاً، مسقياً ديانتهم وإشراكهم، ومشيراً إلى خلق الله للسماء وما فيها من أبراج<sup>(١٨)</sup>:

أَرْجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا      إِلَى ذِي الْعَرَضِ إِنْ سَفَلُوا عَرُوجًا  
وَهَلْ أَمْرُ الْمُسْأَلَةِ غَيْرُ كُفْرٍ      بَعْنُ يَخْتَارُ مِنْ سَمَكِ الْبَرُوجِ

وقريب من هذا أيضاً ما نسب إلى زيد بن عمرو بن نفيل من شعر يصف فيه إيمانه بالله الذي خلق الأرض وسواها مستوية على المياه، وأقام عليها الجبال، ثم أرسل إليه الماء الزلال<sup>(١٩)</sup>:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِمَنْ أَسْلَمْتُ      لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا  
 ذُحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ      عَلَى الْمَاءِ أَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا  
 وَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِمَنْ أَسْلَمْتُ      لَهُ الْعَرْزُ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالَا  
 إِذَا هِيَ سَبَّحَتْ إِلَى بَلَدَةٍ      أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالَا

ولم يقتصر الاعتقاد في خلق الله للكون على الشعراء الذين اعتنقوا الديانات السماوية، وإنما امتد ليشمل عدداً وفيراً من الشعراء الجاهليين، ومعظمهم من عبدة الأوثان، الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى. غير أن أولئك الشعراء لم يتحدثوا في أشعارهم كثيراً عن خلق الله للكون، كما هو شأن أمية بن أبي الصلت مثلاً، وإنما جعلوا ذلك، في أحيان كثيرة، ضمن مقدرته العظيمة، التي رأينا الإشارة إليها مراراً، لدى كلا منا على اعتقادهم في الله.

ومع ذلك فثمة أشعار متفرقة أشار أصحابها مباشرة إلى خلق الله للكون، وخاصة خلقه للسماء والأرض. فمن ذلك مانجده لدى باعث بن صريم من شعر يقسم فيه بالله فاطر السماء، وخالق القمر، لينتقم انتقاماً شديداً من أعدائه<sup>(٢٩)</sup>:

إِنِّي وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا      وَالْبَدْرَ لَيْلَةً نَصَفَهَا وَهَلَالَهَا<sup>(٣٠)</sup>  
 أَلَيْتَ أَتَفَقَّ مِنْهُمْ ذَا لِحْيَةٍ      أَبَدَا، فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا<sup>(٣١)</sup>

وشبيه بذلك أيضاً قسم الأعشى بالله الذي خلق الأيام والشهور وجعلها مواقيت للناس، ليؤكد أنه شجاع مقدم إذا استعرت الحرب واشتد القتال<sup>(٣٢)</sup>:

فَلْعَمْرُو مَنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عِلَامَةً      قُدْرًا فَبَيْنَ نَصَفِهَا وَهَلَالِهَا  
 مَا كُنْتُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ مُغْمَرًا      إِذْ شَبَّ حَرُّ وَفُودِهَا أَجْزَالِهَا

ومن هذا القبيل أيضاً ما نجده من اعتقاد أبي عزة الجُمَحِيّ في أن الله مالك الكون وسيدّه، وهو الذي شفاه من برصه، ومنع عنه الموت، بعد أن حاول الانتحار<sup>(٣٣)</sup>:

لَاهُمْ رَبٌّ وَإِثْمٌ لِّهِمْ وَنَهْدٌ  
وَرَبٌّ مِّنْ يَّرْمِي بِيَاضِ نَجْدٍ  
وَالْتَّهْمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجَرْدِ<sup>(٣١)</sup>  
أَصْبَحْتَ عَبْدًا لَّكَ وَابْنُ عَبْدِ<sup>(٣٢)</sup>  
أَبْرَأْتِي مِّنْ وَضَحِ بَجْدِي  
مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي<sup>(٣٣)</sup>  
ويشير عبدالله بن الزبعرى إلى أن الله حفظ مكة، ومنع عنها كيد الكائدين،  
فهو رب السماء والأرض، ولا يزال يربها منذ أقدم الأزمنة، ولعله يوحى إلى  
زمن خلقه لها<sup>(٣٤)</sup>:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا  
كَانَتْ قَدِيمًا لَا يَرَامُ حَرِيمُهَا  
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرُّهُمْ قَبْلَهُمْ  
والله، من فوق العباد، يقيمها  
وهكذا يتضح لنا، مما مر بنا من شعر، أن الاعتقاد في خلق الله للكون كان  
ظاهرة عامة في العصر الجاهلي، حتى إن الشعراء المشركين سلّموا بذلك الاعتقاد،  
ولم يصدر عن أحدهم ما يناقضه، ونجد القرآن الكريم يؤكد ذلك تأكيداً تاماً حين  
يشير إلى إقرار المشركين بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما،  
وذلك في قوله تعالى، مخاطباً نبيه محمداً (ﷺ): ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup> وكذلك قوله  
تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾<sup>(٣٦)</sup> وجاءت  
الصيغة نفسها في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣٧)</sup>.

وإضافة إلى ذلك يبدو أن الجاهليين عامة كانوا في أحاديثهم العادية يشيرون  
إلى خلق الله للعالم، وخاصة من خلال ما تضمنته أيمانهم؛ فقد نسب إليهم أنهم  
كانوا يقسمون بالله الذي رفع السماء وبناها في قولهم: (لا والذي سمك السماء)<sup>(٣٨)</sup>  
وبالذي خلق الأرض ومدها، في قولهم: (لا والذي دحا الأرض)<sup>(٣٩)</sup>،  
(ولا وسامكها، لا وباسطها، لا وما دها)<sup>(٤٠)</sup>.

كما كانوا يحلفون بالله الذي أنشأ السحاب، وأجرى الرياح وأسكنها، والذي سَيرَ البحر عجاجاً متلاطمًا، في قولهم: «لا ومنشئ السحاب، لا ومجري الرياح، لا ومميتها.. لا ومجري البحر»<sup>(٣٤)</sup>، وغير ذلك من الإيمان التي تدل على اعتقادهم في أن الله هو الذي فطر الكون وسائر مظاهر الطبيعة.

وذلك كله يؤكد ما برز في الشعر من موقف الإنسان العربي تجاه قضية خلق العالم، ذلك الموقف الذي عبّر عنه الشعراء، حين رأوا أن خلق الكون عمل أبدعه الله، واختص به، ولم ينسبوه إلى أحد سواء. وقد تفاوتت رؤيتهم للخلق وإذ فصل بعضهم حينًا، وأشار إليه بعضهم إشارة عامة حينًا آخر، وسجد أن الأمر نفسه ينطبق على رؤيتهم لخلق الإنسان.

## ■ ثانيًا، خلق الإنسان :

لقد صار بَيِّنًا لنا، من خلال الشعر الجاهلي، أن الإنسان العربي اعتقد في أن الله خالق الكون، ولا شك في أنه اعتقد أيضاً في أن الله خلق البشر وسائر الكائنات الأخرى. وقد عبّر عدد من الشعراء عن هذا الاعتقاد؛ سواء أكانوا معتنقين لإحدى الديانات السماوية، كالحنيفية واليهودية والنصرانية، أم كانوا مشركين من عبدة الأوثان؛ وإذا اتفقوا جميعاً على أن الله وحده القادر على خلقهم، وبرز ذلك جلياً حين تحدثوا عن خلق الله للإنسان حديثاً مباشراً حينًا، أو عند ما أشاروا إليه إشارات عارضة حيناً آخر.

وكان عدي بن زيد، في قصيدته التي عرضنا لقسم منها في الفقرة السابقة، أكثر أولئك الشعراء ذكراً لخلق الإنسان، وتفصيلاً فيه؛ إذ يصور فيها خلق الله لآدم أبي البشر من الطين، وكيف نفخ فيه الروح وخلق له من ضلعه زوجاً له، هي حواء. ثم يشير إلى إسكان الله إياهما في الجنة، ونهيهما عن أكل ثمر شجرة معينة من أشجارها، وكيف أغوتها الحية فأكلا منها، مما أدى بهما إلى سخط الله، فضلاً عن لعنه للحية، وجعلها تزحف على بطنها بعد أن كان لها أرجل طويلة، وجرم كبير<sup>(٣٥)</sup>:



قضى لسنّة أيام خليفته وكان آخرها أن صور الرجل  
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفحة الروح في الجسم الذي جنبا  
ثمت أورثه الفردوس يغترها وزوجة صنعة من ضلعه جنلا  
لم ينهه ربه عن غير واحدة من شجر طيب: أن شم أو أكل  
فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت كما ترى ناقة في الخلق أو جملا  
فعندا للثني عن أكلها نهياً بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا (٣٦)  
كلاهما خاط، إذ بزأ لبوسهما، من ورق التين ثوباً لم يكن عزلا  
فلا طها الله إذ أغوت خليفته طول الليالي ولم يجعل لها أجلا (٣٧)  
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرت والقرب تأكله حزنًا وإن سهلا  
وخبر خلق الله لآدم وحواء، وإغواء الحية لهما، وارد معروف لدى اليهود  
والنصارى؛ ووضع في الجنة، ثم نهي عن أكل شجرة معرفة الخير والشر، ثم  
أخذه ضلعاً من أضلاعه وخلق منها امرأة زوجة إياها (٣٨). وكذلك إغواء الحية  
لحواء بأكل الثمر من شجرة المعرفة، وأكل آدم وحواء منها، وانتباههما لعريهما،  
مما جعلهما يخيطان مآزر لهما من ورق التين (٣٩). وما كان من لعن الله للحية،  
إذ جعلها تزحف على بطنها، وجعل أكلها تراباً (٤٠).

وتجد أمية بن أبي الصلت معنقدا أيضاً في أن الله خلق الأرض وخلق البشر  
منها، كما يبدو ذلك، واضحاً في قوله (٤١):

هي القرار فما نبغى بها بدلاً ما أرحم الأرض إلا أننا كفر  
منها خلقنا وكانت أمنا خلقت ونحن أبناؤها لو أننا شكر

وكذلك تلمح لدى أمية معرفة بإغواء الحية لآدم، وما آلت إليه، بعد أن لعنها  
الله، فألصقها بالأرض وجعلها من الزواحف، وذلك حين يتحدث عن إخراج  
الحاوي لها، بما يتلو عليها من عزائم وأسماء الله (٤٢):

إِذَا دُعِينَ بِأَسْمَاءِ أَجْنَبٍ لَهَا      لَنَا فِي يَغْتَرِبِهِ إِلَهَ وَالْكَلِمَ (١٣)  
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّ كَانَ عَذْبَهَا      عَرَجَاءُ تَظْلَعُ فِي أَنْبَابِهَا عَصَمَ (١٤)  
وَقَدْ بَلَّتْهُ فَذَاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ      فَلَيْسَ فِي سَمْعِهَا مِنْ رَهْبَةِ صَمَمَ (١٥)  
ويبدو أنه كان شائعاً بين العرب أن الناس جميعاً ينحدرون من أب واحد، هو آدم، الذي خلقه الله، ثم جعل سائر البشر من ذريته، غير أن هذا الأمر، في أغلب الظن، لم يحتفل به الشعراء كثيراً؛ إذ لم يكن من صلب أغراضهم الفنية التي درجوا عليها، لذلك قلَّت الإشارة إليه في الشعر، حتى غدت مقتصرة أحياناً على ذكر اسم آدم أو ما يدل عليه. ولعلنا نجد شيئاً من التفصيل فيما نسب إلى عبد لطابخة بن ثعلب من قضاة حين قال (١٦):

وَأَنْتَ الْقَدِيمُ الْأَوَّلُ الْمَاجِدُ الَّذِي      تَبَدَّاتِ خَلْقِ النَّاسِ فِي أَكْثَمِ الْعَذَمِ (١٧)  
وَأَنْتَ الَّذِي أَحْلَلْتَنِي غَيْبَ ظَلَمَةٍ      إِلَى ظَلَمَةٍ مِنْ صَنْبِ آدَمَ فِي ظَلَمٍ  
وأشار أفنون التغلبي إلى آدم، في شعر يعاتب فيه قومه بني حبيب الذين تخلَّوا عنه، ولم يدركوا مكانته ومنزلته في ردع الخصوم وإسكات المتفاهرين عليهم (١٨):

أَبْلَغُ حَبِيبًا وَخَلَّلَ فِي سَرَائِهِمْ      أَنْ الْفَوَادِ انْطَوَى مِنْهُمْ عَلَى حَزَنِ  
قَدْ كُنْتُ أَسْبَقُ مِنْ جَارُوا عَلَى مَهَلٍ      مِنْ وَلَدِ آدَمَ مَا لَمْ يَخْلَعُوا رَسَنِي (١٩)  
وقد وردت إشارات إلى آدم، لدى بعض الشعراء، لكنها عبرت عنه بـ «عرق الثرى»، ويبدو أن ذلك يعود إلى ما هو معروف وشائع من أنه الأصل القديم الذي خلق من طين. فمن ذلك ما ذكره متمم بن نويرة في شعر يرثي به أباه وأجداده (٢٠):

فَعَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عَرَقِ الثَّرَى      فِدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا  
ذَهَبُوا فَلَمْ أَدْرِكْهُمْ وَدَعَيْتُهُمْ      غَوْلَ أَنْوَاهِ وَالطَّرِيقِ الْمُهَيَّجِ (٢١)

وعلى هذا الغرار فُرِّبَ امرئ القيس الذي يؤكد فيه أن أصله ثابت راسخ،  
وأن نسبه مُفَرَّق في القدم<sup>(٥٢)</sup>:

إلى عَرَقِ الثُّرَى وَشَجَّتْ عَرَوَقِي      وهذا الموتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

وفضلاً عما أبرزه الشعراء، من اعتقاد العربي في أن الله هو الذي خلق  
الإنسان الأول، فقد ألح بعضهم إلى كيفية تَكُون الإنسان في الرحم، بدءاً من  
كونه ماءً ونطفة إلى أن يغدو بشراً سوياً. وهذا مانجده لدى السموأل حين قال<sup>(٥٣)</sup>:

نُطْفَةٌ مَـامْنِيَتْ يَوْمَ مَنِيَتْ      أَمَرْتُ أَمْرَهَا وَفِيهَا وَبِيَتْ<sup>(٥٤)</sup>  
كَتْهَـا اللّهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ      وَخَفِيَ مَكَانُهَا لَوْ خَفِيَتْ  
أَنَا مَيِّتٌ إِذْ ذَاكَ ثُمْتُ حَيٍّ      ثُمَّ بَعْدَ الْحَيَاةِ لِلْبَعْثِ مَيِّتٌ

ولا غرابة بعد ذلك أن نجد بعض الشعراء يدعو إلى عبادة ذلك إله الخالق،  
لما يتصف به من عظمة، ولما له من مقدرة على تكوين الإنسان في أجمل شكل  
وأحسن هيئة. ولذلك رأى وَرَقَةُ بن نوفل أن الله جدير بالعبادة، وحرى بأن  
ينفرد بها دون سواه<sup>(٥٥)</sup>:

لَقَدْ نَصَحْتُ لَأَقْوَامٍ وَقَلْتُ لَهُمْ      أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغُرُّكُمْ أَحَدٌ  
لَا تَعْبُدُنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ      فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حُدُودٌ<sup>(٥٦)</sup>

كما يرى أيضاً أن الله يرعى عباده الذين خلقهم دائماً، فيستمع لتضرعاتهم،  
ويستجيب لدعائهم، مما يجعل كثيراً منهم يلهجون بألوهيته وربوبيته، ويؤدون  
العبادات شكراً لخالقهم وموجدهم<sup>(٥٧)</sup>:

أَدْبِنَ لِرَبِّ يَسْتَجِيبُ وَلَا أَرَى      أَدِينُ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ الدُّهْرُ دَاعِيَا  
أَقُولُ، إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ :      تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتَ بِاسْمِكَ دَاعِيَا<sup>(٥٨)</sup>

ولا ريب في أن معظم تلك الأشعار السابقة كانت تعبيراً عن تلك الفئة من  
العرب التي تأثرت بالديانات السماوية، وكان أغلب أولئك الشعراء من هذه

الفئة . وقد رأينا أن تأثيرهم بالديانات كان متفاوتاً في أشعارهم ، وإن كانوا جميعاً قد انطلقوا في نظمهم من الإيمان بالآله الخالق الذي أوجدهم من العدم ، وكونهم بشراً بعد أن كانوا في غياهب المجهول .

ولكن لا يعني هذا أن الفئة الثانية المشتركة ، وهي سائر العرب ، قد أنكرت أن يكون الله هو الخالق ، أو أنها عزت خلق الناس إلى الأوثان ، وإنما كان شأنها شأن الفئة الأولى في اعتقادها أن أمر خلقها وإيجادها يعود إلى الله ؛ وذلك على الرغم من أنها لم تكن تخلص له العبادة ، ولم تكن تفرد به بالألوهية ، إذ كانت تشرك به الأوثان ، وتعدّها آلهة أخرى معه . وقد ظهرت إشارات متفرقة من الشعراء المشركين ، تعبر عن ذلك الاعتقاد في أن الله خالق البشر وفاطر الكائنات .

فمن ذلك ما مدح به الأعشى أحدهم بأنه لا يخشى خوض الحروب ، لأنه يعلم أن الذي خلق الإنسان قدر أجله<sup>(٩٩)</sup> :

وعِلِمْتُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا      مَا كَانَ خَالِقُهَا الْمَلِكُ قَضَى لَهَا  
كما اعتقد قيس بن الخطيم في أن الله ، حين خلق محبوبته ، جعل الإشراق ملازماً لها ، وحرّم على الظلمة أن تحجبها<sup>(١٠٠)</sup> :

وقضى الله حين يخلقها الخا      لِقْ أَلَا يَكْتُمُهَا سَدْفُ  
ورأى لبيد أن الله الذي خلق الخلق هو الذي جعل أخلاق الناس متفاوتة متباينة ، لذلك فإنّ المرء أن يسلم بهذه الحقيقة ، ولا يكابر فيها<sup>(١٠١)</sup> :

فأقع بما قسمَ المليك فإتما      قسمَ الخلاق بيننا علامُها  
وتجد اعتقاداً مماثلاً في أن الله خالق البشر لدى قُرَيْط بن أنيف ، حين استهزأ بقومه الذين يرضون بالذل والهوان ، فيحسنون لئن أساء إليهم ، ويسألون من عاداهم<sup>(١٠٢)</sup> :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد، ليسوا من الشر في شيء وإن هانا  
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل سوء إحسانا  
كأن ربك لم يخلق لخشيتيه سواهم من جميع الناس إنسانا  
وقد أكد لنا القرآن الكريم ذلك الاعتقاد أيضاً، حين بين أن المشركين كانوا  
يسلمون تسليمًا تاماً بأن الله خلق حياتهم، وأوجدهم في هذه الدنيا. وذلك في مثل  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١٣).

وعلاوة على ما مر بنا من أشعار، نُجمع على إيمان الإنسان العربي بأن الله  
خالق البشر، فإن ثمة أقوالاً تُسبب إلى الجاهليين عامة، تتضمن أيماناً وأقساماً،  
كانت تجري على ألسنتهم في أحاديثهم وفي أمور حياتهم، تشير كلها إلى اعتقادهم  
في خلق الله لهم؛ فكانوا يقولون، مثلاً، «لا والذي خلق الرجال على هذه  
الخلقة» (١٤)، وكذلك قولهم: «لا وفاطر الأشباح» (١٥)، ويقصدون بذلك خالق  
الأشخاص، كما أقسموا بالذي «شق الرجال للخيول» (١٦) والذي «شقهن خمساً من  
واحدة» (١٧)، ويقصدون أن الله خلق الأصابع من يد واحدة، إلى غير ذلك من  
الأيمان التي تؤكد اعتقادهم في خلق الله للإنسان.

ومما لا جدال فيه أن خلق الله للإنسان لا يقتصر على الجسم فقط وإنما يشمل  
روحه أيضاً، وإذا كان الجاهليون لم يتعمقوا كثيراً في البحث عن ماهية الروح،  
كما يظهر من أشعارهم وأخبارهم، فإن معظمهم، في أكبر الظن، قد اتفقوا على  
أن الجسد شيء، والروح شيء آخر، وأنه بخروج الروح من الجسد، ومفارقتها  
له، يحدث الموت (١٨)، ونلمح صدى ذلك لدى بعض الشعراء.

فمن هؤلاء عدي بن زيد العبادي، وقد مرت بنا إشارته إلى أن حياة آدم عليه  
السلام بدأت منذ أن نفخت فيه الروح، ولولا ذلك لظل الجسد الذي جبله الله بلا  
حياة (١٩):

دعاه آدم صوتاً فاستجاب له      بنفخة الروح في الجسم الذي جبلاً  
ومنهم أيضاً امرؤ القيس الذي تسأل عن مصير الروح ، بعد أن فارق  
الجسم ، وتدع صاحبه جثة هامدة: إلى أين ستؤول؟ (٧٠):

لـيـت شعري ولـيـت نبوة      أين صار الروح إذ بان الجسد؟

أما عن ماهية الروح لدى الإنسان العربي فيبدو أنه كان شائعاً ، لدى كثير من  
الأفراد ، أن الروح شيء لطيف غير عادي ، وهي مصدر القوى المدركة في  
الإنسان ، فضلاً عن أنها مصدر الحياة (٧١). ويُرجح أنهم كانوا يعدونها كالهواء في  
داخل الجسم ، كما نجد ذلك واضحاً لدى عبيد بن الأبرص في قوله (٧٢):

هل نحن إلا كاجساد تمرُّ بها      تحت الأراب وأرواح كأرواح (٧٣)

ومن الجدير بالاهتمام ، في هذا المجال ، أن الشعراء لم يفرقوا غالباً بين الروح  
والنفس ، وإنما عدّوهما ، في أكثر الأحيان ، شيئاً واحداً ، وهذا الاعتقاد لا يخالف  
ما ذهب إليه معظم القدماء عند كلامهم على الروح والنفس ، فقد نصّوا على عدو  
التمييز بينهما (٧٤). ونجد تأكيد ذلك لدى امرئ القيس حين رأى أن الموت لا بد أن  
يحقق به ، فيسئل منه نفسه أو روحه ، ويرديه جسداً لاهية فيه ، فيسرع به ليُدس  
في التراب (٧٥):

إلى عرق الثرى وشجت عروقي      وهذا الموت يستليني شباي  
ونفسي سوف يستلّنها وجرمي      فيلحقني وشيكاً بالتراب (٧٦)

وعلى هذا الفرار لم يميّز ليهود بين الروح والنفس ، إذ اعتقد أن بقاء الروح في  
الجسم بمنزلة الشيء المستعار الذي لا بد أن يُعاد إلى صاحبه بعد قضاء الحاجة  
منه (٧٧):

هل النفس إلا متعة مستعارة      نعار فتاتي ربها فرط أشهر

وإذا كانت النفس والروح شيئاً واحداً فلا ريب أنه بمفارقة النفس للبدن يُضحى الجسم ميئاً، لاهياة فيه؛ بحسب ما رآه الأعشى، حين وصف ما يلاقيه الغواص من مشاق وأهوال، في سبيل استخراج لؤلؤة جاشمة في أعماق البحر (٧٨):

ففي حَوْمٍ لُجَّةٌ أَنَّى لَهُ حَذَبٌ      مِنْ رَامِهَا فَارَقَتْهُ النَّفْسُ فَاعْتَقَا (٧٩)

وما دام الإنسان مؤلفاً من جسم وروح فإن ما يصيب الجسم يؤثر غالباً في الروح، وهذا مانجده لدى الأعشى أيضاً؛ إذ قاده تجربته إلى أن تأثر الخمر لا يقتصر على الجسم فقط، وإنما يتعداه ليشمل نفس الإنسان وروحه؛ ذلك أن التأثير بين الجسم والروح متبادل، وأن ما يمس أحدهما يمس الآخر، وما ينغص على أحدهما ينغص على الآخر أيضاً (٨٠):

لَعَمْرُكَ إِنَّ الرُّوحَ إِنْ كُنْتَ سَأَلْتَ      لِمُخْتَلَفِ غَذِيَّتِهَا وَعَشَائَتِهَا  
لَنَا مِنْ ضَحَايَا خَبْتِ نَفْسٍ وَكَأَبَةٍ      وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغْبِ أَذَانُهَا (٨١)  
وعند العشي طيب نفس ولذة      ومال كثير غدوة نشواتها

ورأى عُمارة بن الوليد رأياً مماثلاً في التأثير المتبادل بين الروح والجسم، حين جعل الروح تتأثر بالخمر وتنشئ، على الرغم من رقتها ولطافتها وشفافيتها، معبراً عنها بالنفس شأن الشعراء الآخرين (٨٢):

وَأَبْيَضَ لَا وَا نَ وَلَا وَاهِنُ السُّرَى      صَبَحْتُ إِذَا أُولَى الْعَصَافِيرِ صُرْتُ (٨٣)  
فَقَامَ يَجْرُ الْبُرْدُ لَوَانُ نَفْسِهِ      بِكَفَيْهِ مِنْ طَوْلِ الْحَمِيَّا لُخِرْتُ (٨٤)

ونخلص من ذلك كله إلى أن الإنسان العربي، كما يبرزه لنا الشعر، نظر إلى ذاته على أنه مخلوق على هذه الأرض، وأنه مكون من روح غير مادية وجسد محسوس، واقتنع بأنه انحدر من سلالة آدم الذي خلقه الله من تراب، وبث فيه الروح، ثم تتابع نسله وذريته إلى ذلك الحين. وقد آمن بذلك، في معظم الأحوال، إيماناً مطلقاً، ولم يخرج عن ذلك الإيمان، مهما كانت عقيدته وديانته.

### ٣ - الطوفان :

تتصل حادثة الطوفان اتصالاً وثيقاً بالخلق وبدء الخليقة، وتتعلق بتجدد حياة المخلوقات على وجه الأرض؛ ذلك أن الطوفان قضى على البشر وأغرق الكائنات الأخرى، ولم يبق من الأحياء، بحسب الأخبار، إلا من نجا على سفينة نوح عليه السلام ويبدو أن هذه الحادثة، كانت شائعة معروفة عند العرب منذ القديم، كما كانت معروفة عند غيرهم من الأمم القديمة كالسومريين والبابليين والعبرانيين<sup>(٨٥)</sup>.

ولا يستغرب أن تكون قصة نوح والطوفان قد نضجت إلى أسماع الإنسان الجاهلي عامة، ولا سيما أن بعض الشعراء قد أشاروا في قصائدهم إليها، وهم بين مسهب في تفاصيلها، كأمية بن أبي الصلت، وبين ملم إلاماً عابراً كعدد من الشعراء الآخرين.

فأما أمية فإنه، على ما يبدو من شعره، قد اهتم اهتماماً كبيراً بحادثة الطوفان، ولعله قد اطلع عليها لدى أهل الكتاب، وخاصة أن ثمة تشابهاً بين ما أورده في شعره عنها وبين ما ورد في التوراة حول الطوفان، كما في قوله<sup>(٨٦)</sup>:

فَرَحْمَةُ نُوْحٍ يَوْمَ حُلِّ سَبْعَةٍ      لَشَيْعَتِهِ كَانُوا جَمِيعًا ثَمَانِيَا  
فَلَمَّا اسْتَنَارَ اللَّهُ تَنُورَ أَرْضِهِ      فغَارَ وَكَانَ الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ سَاحِبَا<sup>(٨٧)</sup>  
تَرَفَعَ فِي جَرِيٍّ كَأَنَّهُ أَطْبِيطَةٌ      صَرِيفٌ مَحَالٍ يَسْتَعِيدُ الدَّوَالِيَا<sup>(٨٨)</sup>  
عَلَى ظَهْرِ جَوْثٍ لَمْ يَعْدُلْ رَاكِبٌ      سَرَاهُ، وَغَيْمُ الْبَهِيمِ الْمَاءُ دَاجِرَا  
فَصَارَتْ بِهَا أَيْمَانُهَا ثَمَّ سَبْعَةٌ      وَسَتْ لِيَالٍ دَانِبَاتٍ غَوَاطِيَا<sup>(٨٩)</sup>  
تَشَقُّ بِهِمْ تَهْوِي بِأَحْسَنِ إِمْرَةٍ      كَأَنَّهُ عَلَيْهَا هَادِيَا وَنَوَاتِيَا  
وَكَانَ لَهَا الْجُودِيُّ نَهْيًا وَغَايَةً      وَأَصْبَحَ عَنْهُ مَوْجَةٌ مَتْرَاحِيَا<sup>(٩٠)</sup>



وما كان أصحاب الحمامة خيفة      غداة غدت منهم تَضُمُ الخوافيا  
رسولاً لهم والله يحكم أمره      يبين لهم : هل يؤنس التُّربُ باديا  
فجاءت بقطب آية مستبينة      فأصبح منها موضع الطين جاديا<sup>(٩١)</sup>  
ويبدو التشابه تاماً مع التوراة في إشارته إلى الحمامة خاصة؛ إذ ورد فيها أن  
نوحاً عليه السلام أرسلها أول مرة فلم تجد مقراً لها: «فلبت أيضاً سبعة أيام آخر،  
وعاد فأرسل الحمامة من الفلك، فأنت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقة زيتون  
خضراء في فمها، فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض»<sup>(٩٢)</sup>. وقد فصل أمية  
الحديث عن الطوفان في موضعين آخرين من شعره أيضاً<sup>(٩٣)</sup>، مما يؤكد مايولي  
تلك الحادثة من عناية واهتمام.

ونجد لدى الأعشى دراية بقصة الطوفان، وما كان من شأن السفينة التي  
صنعها نوح عليه السلام بأمر من الله، كي ينجو بها هو ومن آمن معه، وذلك من  
خلال مديحه لإياس بن قبيصة الطائي<sup>(٩٤)</sup>:

جزى الإله إياساً خيراً نعمته      كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا  
في فلكه إذ تَبَدَّأها ليصنعها      وظل يجمع ألواحاً وأبوابا<sup>(٩٥)</sup>

وكذلك أشار النابغة الذبياني إلى نوح عليه السلام، وإلى شهرته بالأمانة، مما  
يدفع على الاعتقاد في أنه كان يعرف خبر الطوفان أيضاً؛ إذ يقول مادحاً النعمان  
ابن المنذر<sup>(٩٦)</sup>:

فألفيت الأمانة تخنئها      كذلك كان نوح لا يخون

وذكر ورقة بن نوفل في شعره جبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح عليه  
السلام، بعد أن انتهى الطوفان، وانحسر الماء عن الأرض، وذلك في قوله<sup>(٩٧)</sup>:

سبحان ذي العرش سبحانه نعوذ به      وقيل قد سيح الجودي والجمد<sup>(٩٨)</sup>

ولعل ما يزيد الباحث قناعة بأن حادثة الطوفان كانت معروفة شائعة بين العرب الجاهليين هو ما ورد في أسئلتهم السائرة من ذكر لنوح عليه السلام، وإشارة إلى إرساله الغراب من السفينة، قبل أن يرسل الحمامة، وذلك لمعرفة الحال الذي آل إليه الطوفان، فكان أن عثر الغراب على جيفة، فوقع عليها، وتغافل عن أمر نوح، فضرب به المثل في الإبطاء، وقيل: «أبطأ من غراب نوح»<sup>(٩٩)</sup>

ويذكر في هذا المجال أيضاً، ما ورد في بعض الروايات، من زعم بأن عدداً من الأصنام، التي كان يتعبد لها المشركون، ترجع إلى زمن نوح عليه السلام، وهي: ودّ، وسواع، ويعوق، ويغوث، ونمر، وأن تلك الأصنام قد حملها الطوفان من موطن نوح إلى ساحل جدة بالجزيرة العربية، حيث عثر عليها، فأخذت، ووزعت على القبائل<sup>(١٠٠)</sup>.

واستناداً إلى ذلك فقد أصبحت معرفة الجاهلي بالطوفان أمراً لا شك فيه، وهذا ما يجعل قصة الخليفة تكتمل لديه من بداية الخلق حتى نهاية الطوفان.

ومما مر بنا، من أشعار وأخبار، نجد أن الإنسان العربي قد تشكل في ذهنه تصوّر محدد حول مبدأ الخلق والوجود، وتمثل ذلك في قناعته بأن الله هو الذي خلق السماء والأرض وما بينهما، وهو الذي أوجد الكائنات، وفي مقدمتها البشر، وهو أيضاً الذي أرسل الطوفان ليحصد به الحياة على الأرض. وكان الشعراء أبرز من عكس هذا التصوّر، لما تميّز به معظمهم من سعة اطلاع، وغزارة علم.

ولابد لنا، قبل أن نختم كلامنا على الخلق، من الإشارة إلى أن الإنسان العربي، في رؤيته التي شملت الاعتقاد في الله، والتسليم بأنه مبدئ الخلق؛ سواء أكان كوناً أم بشراً، والافتناع بإحداثه للطوفان، ونشر الحياة بعده، قد حلّ مشكلة كبرى من مشاكل الفكر الإنساني، إذ لم تبق لديه حاجة إلى البحث عن علة الوجود. ولم لا؟ مادام قد اعتقد في أن الله هو الموجد للكون والبشر. وربما كانت

قناعته الفكرية هذه هي التي أبعدته عن مجالات الفلسفة ومنطقها، وجعلته قليل الغوص في مسائلهما، ولاسيما المتعلقة منها بعلة الوجود التي شغل بها الأفراد في أمم قديمة أخرى، وفي مقدمتها اليونان.

وثمة أمر آخر ينبغي لنا أن نذكره، وهو أن رؤية الإنسان للخلق عامة أنت غالباً في أبيات شعرية متفرقة، ولم نجدها تننظم في قصائد أو مقطوعات، نستثني من ذلك أشعار أمية بن أبي الصلت وعدي بن زيد اللذين عرفا، منذ القديم، بتعرضهما لموضوع الخلق. ولعل السبب في قلة ورود موضوع الخلق في أغراض شعرية مستقلة يرجع إلى ما درج عليه الشعراء الجاهليون من أغراض محدودة كالمدح والفخر وغيرها، مما أبعدهم عن أن يدعوا في أشعارهم حيزاً رحباً لغير تلك الأغراض، ومع ذلك فإن تلك الإشارات الشعرية، على قصرها، قد عكست بجلاء رؤية الإنسان العربي للخلق ونشأة الحياة.



### الهوامش

- (١) انظر مقانا «الله والإنسان في الشعر الجاهلي» في عدد سابق.
- (٢) انظر أخباره في الحيوان: ١٩٧/٤، والشعر والشعراء: ٢٢٥/١، والاشتقاق: ص: ٢١٧، والأغاني: ٩٧/٢.
- (٣) الديوان، ص: ١٥٨ - ١٥٩، وقد نسب البيهقي الرابع والخامس إلى أمية بن أبي الصلت، انظر ديوانه: ص: ٤٦٠.
- (٤) العرانية: مذ المسيل.
- (٥) المصّر: الحاجز بين الشبتين.
- (٦) السفر التكوين، الإصحاح الأول: ١ - ٥.
- (٧) السفر نفسه، الإصحاح الثاني: ١ - ٢.
- (٨) انظر أخباره في هذا المجال: الحيوان: ٣٢٠/٢، والشعر والشعراء: ٤٥٩/١، والاشتقاق: ص: ٣٠٣، والأغاني: ١٢٠/٤.

(٩) الديوان : ص ٣٩١ ، وله شعر في المعنى نفسه : ص ٤٠٠ - ٤٠٢ .

(١٠) المهابة : هنا ، الشمس .

(١١) الديوان ، ص : ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(١٢) نورخها : أبركها . والطروفة : أنثى القمل . والزند : خشبة تُستدح بها النار ، ولا يكون ذلك إلا بزند آخر ، فجعل كلاً من الأرض والسماء كالزند . ومُسَدّ منكح ، من «أسدّ يَسُدّ» .

(١٣) التلاميذ : الخدم والأشباع ، ولعله أراد بهم النساك ، لأنهم يأوون إلى الجبال والقُدّات : جمع قُدّة ، وهي كل ما أشرف من رؤوس الجبال .

(١٤) المخصوصة : المولفة من أطباق عدة . وتَأَوَّد : تنثنى وتتجدد .

(١٥) تحذر : تسير . والبُرَام : الأفراد ، وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه ، تُفَرِّد : من «فَرَدَ الشعر» إذا تجعد وتلبّد بعضه على بعض .

(١٦) تأويل مشكل القرآن : ص : ٧٦ .

(١٧) السيرة النبوية : ١/١٩٢ ، وخزانة الأدب : ٣/٣٩٢ ، وورد فيها أنه كان نصرانياً .

(١٨) السيرة النبوية : ١/٢٣١ .

(١٩) الحماسة : ٢/٥٣٣ .

(٢٠) سمك : رفع ، ونصفها : الضمير عائد على السماء ، وأراد انتصاف الشهر .

(٢١) المعنى أنه أقسم لا يظفر بإنسان منهم إلا قتله ، فلا تنتظر عينه في قالها بعد ذلك .

(٢٢) الديوان ، ص : ٣١ .

(٢٣) طبقات فحول الشعراء : ١/٢٥٦ - ٢٥٧ ، والروض الأنف : ٦/٥٠ .

(٢٤) لاهُم : اللهم ، والتهنات : جمع تهنّة ، ويعني أرض تهامة .

(٢٥) يرمي : هنا ، يسافر ، وبياض نجد : أرض مهلكة في بادية نجد ، من سلكها هلك .

(٢٦) الخُذّ : هنا ، البطن .

(٢٧) السيرة النبوية : ١/٥٧ - ٥٨ .

(٢٨) العنكبوت : الآية ٦١ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٣/٤٢١ .

(٢٩) لقمان : الآية ٢٥ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٣/٤٥١ .

(٣٠) الزخرف : الآية ٩ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٤/١٢٣ .

(٣١) أيمان العرب ، في الجاهلية ، ص : ٧ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص : ١٩ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص : ٢٢ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص : ١٩ .

- (٣٥) الديوان، ص: ١٥٩ - ١٦٠، وثمة إشارة أخرى إلى آدم، ص: ٦٦.
- (٣٦) الذغل: ما يدخل على الأمر فيفسده.
- (٣٧) لاطها: ألصقها، وخليفة الله: آدم، ولم يجعل لها أجلاً: إشارة إلى ما يزعجون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها، من قتل ونحوه، انظر الحيوان: ١١٨/٤.
- (٣٨) سفر التكوين، الأصحاح الثاني: ٧ - ٢٤.
- (٣٩) السفر نفسه، الأصحاح الثالث: ٦ - ٧.
- (٤٠) السفر نفسه، الأصحاح نفسه: ١٤.
- (٤١) الديوان، ص: ٣٨٥، وانظر له شعراً في المعنى نفسه أيضاً، ص: ٣٧٨.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص: ٤٦١ - ٤٦٣.
- (٤٣) يعتربه: يغشاه والتفت: شبيه بالنفع، والتافت: العاوي.
- (٤٤) تطلع: تخرج. والقسم: يمس في المرفق تعوج منه اليد والقدم، ولعله أراد مجرد الاعوجاج، لأنه من صفات أنياب الحية.
- (٤٥) المصدق: الجد والصلاية. ويكنه: اختبرته، والضمير عائد إلى عذاب الله وعقابه.
- (٤٦) الملل والنحل: ٢/٢٤٣، وبلوغ الأرب: ٢/٢٧٦.
- (٤٧) الأكنم: الطريق الواسع.
- (٤٨) الفضليات: ٥٢٤.
- (٤٩) لم يخلعوا رسنى: كنى بخلع الرسن عن إهمال قومه له، وتخليهم عنه.
- (٥٠) الفضليات، ص: ٧٨.
- (٥١) القول: هنا، المثنية، والمهجع، اليبين الواضح.
- (٥٢) الديوان، ص: ٩٨.
- (٥٣) الأصمعيات، ص: ٨٥.
- (٥٤) منبت: فُدرت. ووبيت: أصلها «وبشت» أي هُبت.
- (٥٥) نسب قريش، ص: ٢٠٨، والأغاني: ٣/١٢١، والروض الأنف: ٢/٢٥٠، وخزانة الأدب: ٣/٣٨٩، مع بعض الاختلاف في رواية البيت الثاني في المصادر الثلاثة الأخيرة.
- (٥٦) حذد: منع.
- (٥٧) الأغاني: ٣/١٢٥. وقد نسب البيت الأول إلى زيد بن عمرو بن نفيل وإلى أمية بن أبي الصلت في السيرة النبوية: ١/٢٢٧.
- (٥٨) البيعة: كنيسة النصاري، وأكثرت باسمك داعياً: أي خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك.
- (٥٩) الديوان، ص: ٣٣.

- (٦٠) الديوان، ص: ١٥.
- (٦١) شرح القصائد العشر، ص: ٢٥٩.
- (٦٢) الحماسة: ٢٩/١.
- (٦٣) الزخرف: الآية ٨٧، وانظر تفسير ابن كثير: ١٣٦/٤.
- (٦٤) أيمان العرب في الجاهلية، ص: ١٥.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص: ١٩.
- (٦٦) المصدر نفسه، ص: ١٥.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص: ١٥.
- (٦٨) القاموس المحيط، وتاج العروس: مادة (روح).
- (٦٩) الديوان، ص: ١٥٩.
- (٧٠) الديوان، ص: ٢١٧.
- (٧١) الفصل في تاريخ العرب: ١٤١/٦، وانظر الوثنية في الأدب الجاهلي، ص: ٢٥٧، وما بعدها.
- (٧٢) الديوان، ص: ٤١.
- (٧٣) أرواح: الأولى جمع روح، والثانية جمع ربح.
- (٧٤) القاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس: مادتا (روح) و(نفس)، وقد ذهب العلامة ابن قيم الجوزية إلى أن أرواح بني آدم لم تقع سمينها في القرآن إلا بالنفحة، انظر كتاب الروح، ص: ٢٤٥.
- (٧٥) الديوان، ص: ٩٨.
- (٧٦) الجرم: البدن.
- (٧٧) الديوان، ص: ٥٧.
- (٧٨) الديوان، ص: ٣٦٧.
- (٧٩) حوبة الماء: معظمة. والأذي: موج البحر. والحذب: الموج، واعتلق أي علقته المنبة فمات.
- (٨٠) الديوان، ص: ٨٣ - ٨٥.
- (٨١) نغب: نتقطع ونقتطع.
- (٨٢) معجم الشعراء، ص: ٧٧.
- (٨٣) أبيض: أراد رجلاً أبيض. والبياض كناية عن الشرف. صبحت: من «الصبح» وهو شرب الخمر صباحاً.
- (٨٤) الحمياً: سورة الخمر وشذتها.

- (٨٥) مغامرة الفصل الأول: ص ١٢٣، وما بعدها.
- (٨٦) الديوان، ص: ٥٣٠ - ٥٣٢.
- (٨٧) الثنور: ما يخبز فيه، وكان فور الماء منه علامة لوقت الطوفان، وفيه أقوال أخرى.
- (٨٨) ترفع: تترفع: أي تسرع، والضمير عائد للسفينة، والأطيط: صوت الرجل أو الباب، وجعله للسفينة على التشبيه، ومحال: جمع محالة، وهي البكرة العظيمة يستقى عليها. والدوالي: جمع دالية، وأراد بها الدلاء العظيمة.
- (٨٩) الغواطي: جمع غاطية، وهي الظلمة التي تغطي ما على الأرض.
- (٩٠) الجودي: الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام. والنهي: هنا، النهاية.
- (٩١) الآية: العلامة. والعطف: أراد به قضيب الزيتون الذي حملته الحمامة دلالة على الياسة. والجادي: الزعفران، أي أصبح ذلك الموضع بلون الزعفران.
- (٩٢) سفر التكوين، الأصحاح الثامن: ١٠ - ١١، وانظر الأصحاح السادس والسابع أيضاً.
- (٩٣) الديوان، ص: ٤٦٤ - ٤٦٥، و ص: ٣٣٦ - ٣٤٣.
- (٩٤) الديوان، ص: ٣٦٥.
- (٩٥) نبأها: بدأها وأنشأها.
- (٩٦) الديوان، ص: ٢٢٢.
- (٩٧) نسب قريش: ص ٢٠٨، والأغاني: ١٢١/٣، والروض الأنف: ٢٥٠/٢.
- (٩٨) الجند: جبل بنجد.
- (٩٩) مجمع الأمثال: ١١٩/١.
- (١٠٠) الأصنام: ص ٥٤ - ٥٥.

★ ★ ★

### قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاشتقاق: لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، بغداد ١٩٧٩م.
- الأصمعيات: للأصمعي (ت ٢١٦هـ)، تحقيق هارون وشاكر، مصر ١٩٦٧م.
- الأغاني: للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ط دار الكتب المصرية ١٩٣٠م.
- أيمان العرب في الجاهلية: للتجبرمي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٤٣هـ.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: لمحمود شكري الألوسي، مصر ١٣٤٣هـ.
- ناج العروس من جواهر القاموس: للمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، بيروت.

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق أحمد صقر، القاهرة ١٩٥٤م.
- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البابي الحلبي، مصر.
- الحماسة: لأبي نعام (ت ٢٣١هـ)، شرح الرزوقي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥١م.
- الحيوان: للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٦٥م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبيدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٨م.
- ديوان الأعشى الكبير: تحقيق محمد محمد حسين، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر ١٩٦٤م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت: تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧٧م.
- ديوان عدي بن زيد العبادي: تحقيق محمد جبار المعبيد، بغداد ١٩٦٥م.
- ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق د. ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٦٢م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق د. إحسان عباس، التراث العربي، الكويت ١٩٦٢م.
- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق - محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٨٥م.
- الروح: لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٥٢هـ.
- الروض الأنف: للسبيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة ١٩٦٧م.
- السيرة النبوية: لابن هشام عبد الملك (ت ٢١٨هـ)، تحقيق السقا والأبياري والشلي، البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.
- شرح القصائد العشر: للبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، حلب ١٩٧٣م.
- الشعر والشعراء: لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر ١٩٦٦م.
- طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤م.
- القاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت ٨١٦هـ)، القاهرة ١٩٥٢م.
- الكتاب المقدس (العهد القديم)، بيروت ١٩٧٦م.
- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، بولاق ١٣٠٠هـ.
- مجمع الأمثال: للميداني (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١ مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م.
- معجم الشعراء: للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، البابي الحلبي، مصر ١٩٦٠م.
- مغامرة العقل الأولى: لقراس السواح، بيروت، ١٩٨٠م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، بغداد ١٩٧٦م.



● الإنسان والوجود في الشعر الجاهلي ●

- المفضليات : للمفضل الضبي (ت ١٧٨هـ)، شرح الأنباري (ت ٣٠٤هـ)، عني بطبعة لايل، بيروت ١٩٢٠م.
- المثل والنحل : للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، مصر ١٩٧٦م.
- نسب قريش : لسعد بن عبدالله الزهيري (ت ٢٣٦هـ)، تحقيق أ. ليفي بروفنسال دار المعارف، مصر ١٩٥٣م.
- الوثنية في الأدب الجاهلي : دار عبدالغني زيتوني، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٧م.

